

مجلة الجندل اللطيف

نوفمبر سنة ١٩٠٨

العدد الخامس

السنة الاولى

المرأة هنا وهناك

المرأة المصرية قبل زمن العباسيين وقبل عهد الفواطم وما آلت اليه حالها بعد ذلك كانت المصرية ارقى حالاً واهناً بالاً ثم انحصر هذا الهناء في القروية اما الممتعة فقضي الزمان على هوائها وسرورها بالانزواء في سجن الجهل لا لزامها بالاحتجاب عن العيون لاسباب دينية ومدنية فاستعملت مواهبها في مكاييد الرجل والعمل على جر المنافع اليها بان كانت تترنح دائماً بقولها (قصصني ريشه لئلا يطير) بدون ان تحول نظرهما الى ما فيه سعادة العائلة التي صارت لها مدبرة كأنها لم تكن للرجل معينه كما تقضي عليها وظيفتها وما ذلك الا لنقص تربيتها وعدم ادراكها مزايا الحياة السعيدة ولم يخطر لها على بال ان الحرية انما هي تتمتعها بحقوقها بدون ان تمس حقوق الآخرين ولكن

اين من يرشدها الى هذا المبدأ ويحول افكارها الى ان الحرية لم تكن الخروج عن حد الاعتدال والسير وراء هوى النفس ما دامت منحصرة بين جدران البيوت كل ايام حياتها . اما اذا ارتقت مداركها بالعلم وتقف عقابها بالاداب فلا بد من ان تسير في طريق الكمال وتعمل على اجتذاب قلب زوجها اليها معها كان شموساً بخلاف ما لو كانت جاهلة قايها تجر الكدر والشقاء الى عائلتها وهي تقطن ايتها عملاً محموداً

المرأة الحكيمة يمكنها ان تجذب اليها كل الخيرات ومقامها يرتفع بين بني عشيرتها كالمجوز التي جعلت الخليفة المأمون يعجب من مروءتها وكرم اخلاقها فانهم عليها بما تستحقه وذلك انه لما انتقض عامة الخوفاً وخصوصاً جماعة البشامرة (سكان جهة البحر الصغير) بسبب ظلم الولاة لهم وقاموا يحاربون الحكومة فلم يتمكن من اخضاعهم سوى المأمون لما بقاء لمصر لمشرخلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين وكان ينتقل من قرية الى اخرى حتى مر على قرية تدعى طاء النمل (طامل الان) فلم يدخلها لحقارتها فلما تجاوزها خرجت له عجوز (كما يقول المقريزي) تدعى بمارية القبطية (وهي خلاف مارية القبطية التي بعث بها المقوقس الى نبي المسلمين فاولدها ابراهيم) صاحبة القرية وهي تصبح فظتها المأمون متظلمة فوقف لها وكان لا يمشي ابداً الا والتراجمة بين يديه من كل جنس فذكروا له ان القبطية قالت امير المؤمنين نزل في كل ضيعة ومجاوز ضيعتي والقبط تعابرنى بذلك وانا اسأل امير المؤمنين ان يشرفني بحلولة في ضيعتي ليكون لي الشرف ولا يشمت بي الاعداء وبكت بكاء شديداً فرق لها المأمون زئني

عنان فرسه اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وسأله كم تحتاج من الغنم والدجاج والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفواكه والعلوفة وغير ذلك مما جرت به العادة فأخبر فأحضر جميع ذلك بزيادة وكان مع المأمون اخوه المعتصم وابنه العباس واولاد اخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن اكرم والقاضي احمد بن داود ثم احضرت لكل واحد منهم ما يخصه على انفراد ثم احضرت الى المأمون من فاخر الطعام شيئاً كثيراً حتى انه استعظم ذلك فلما اصبغ وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها وصائف مع كل وصيفة طبق فلما عاينها المأمون من بعد قال لمن حضر قد جاءكم القبطية بهدية الريف فلما وضعت ذلك بين يديه اذا في كل طبق كيس ذهب فاستحسن ذلك وامر بها باعادته فقالت له والله لا افعل فتأمل الذهب فاذا به ضرب عام واحد كله فقال هذا والله اعجب مما يعجزيت مالنا عن مثل ذلك فقالت يا امير المؤمنين لا تحتقر بنا وتكسر قلوبنا فقال ان بعض ما صنعت كفاية فردي مالك بارك الله فيك فالتخذت قطعة من الارض وقالت يا امير المؤمنين : هذا (وشارت الى الذهب) من هذا (وشارت الى الطينة التي تناولتها من الارض) ثم من عدلك يا امير المؤمنين وعندي من هذا شيء كثير فامر به فأخذ منها واقبلها عدة بنياع واعطاها من قريتها طاء النمل مائتي قدان بغير خراج وانصرف متعجباً من كبر مروءتها وسعة حالها . اهـ

فهذه المرأة الحكيمة قد جرت المنافع الى بيتها وعائلتها بعملها الرشيد فاكتمت وارتفع شأنها بين اهلها وصارت عزيزة في قومها محترمة الكلمة وامتدحها القوم وحفظ لها التاريخ اثرًا خالدًا في النفوس . غير اننا اذا القينا

اللوم على المرأة كسنا لها ظالمين لانه مذ افل نجم عزها وانقضت ايام سعدھا
منجنت في قاع يدها لا تتمتع بضوء الشمس كأنها لم تخلق إلا لتكون امة فلا
يمكنها ان تستنشق الهواء النقي كبقية المخلوقات خشية ان يراها احد الاقرباء
فيسلبها من زوجها المسكين الذي لم يجد له نصيراً يأخذ بيده ويخلصها
من مقتصبها ولذلك قضت الظروف بان تبقى كل حياتها معذبة الى ان تنقل
الى رمسها حيث تستمر في المقر الذي ليس لها منه مفر . غير أنه مذ
برزغت شمس الحرية في سماء البلاد المصرية لم يبق لعشاق الفضيلة وحيي
الإصلاح عذراً في السعي وراء ترقيتها ورفع هذا الحجاب الكثيف الذي
حال بينها وبين التعليم الحقيقي لا الوهمي . قامت المرأة في هذه الايام
تطلب الانفكاك من هذا الأسر ولكنها سارت في طريقها تتخطى وليس
من ينصفها ويأخذ بيدها لان الرجل ينظر اليها كاحقر مخلوق فارتكأها عليه
في ترقية مداركها وهو يريد ان تبقى على حالها ليس من الصواب والواجب
عليها ان تنهض عاملة مطالبة بحقوقها بنفسها كما نهضت نساء الروس مطالبات
المرأة في بلاد الروس اليوم

وها ضويرة العريضة التي رفعتها النساء المسلمات في دور تبورغ الى
مجلس الدوما (نواب الروس)

« ان ديننا يأمر بتحريرنا ويعلن حقنا في الحرية ولكن ازواجنا
ظالمون جهلاء ما زالوا يعاملوننا بالجور ويضطروننا الى الخضوع لما ينالهم من
طرفة الليل

» ان ديننا الاسلامي يسمح للمرأة بأن تدرس العلوم وتسافر وتقوم

بفريضة الحج وتؤدي الواجب الديني ويأذن لها في الاتجار ومعالجة المرضى في المستشفيات والجرحى في اوقات الحروب والادلة التاريخية كثيرة في هذا الموضوع في بلاد العرب وبقية البلدان المسلمة . فان المرأة كانت تؤسس الشركات وتشيد الجوامع وتشترك في اعمال خيرية جمّة . بل كان بين النساء عدد من المؤلفات والشاعرات والكتابات المشهورات . ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تصحب زوجها في الحروب وعرفت بعض لغات الاجانب . اما اليوم فان رجالنا لا يكتفون بحرماننا من كل تثقيف عقلي بل هم يحرمونا ايضاً من درس ديانتنا ومطالعة الكتب المقدسة ويسرون على نهج واحد مع بعض الصحافيين في الاعتراض على كل سعي نسعاه في سبيل العلم لانهم يريدون ان يبقونا غارقين في لجة الجهل ظناً منهم ان الجهل يسهل عليهم ظلمنا والتحكم بنا . وبينما نكون نحن اسيرات مسجونات في منازلهم يذهب ازواجنا يفتشون عن حبيبات ويتزوجون مراراً وتكراراً . وعلى هذا النمط نعيش تحت نير الظلم الثقيل . وكثيراً ما يكون الحزن والقنوط سبباً في اصابتنا بمرض السل الذي يقصف اغصان حياتنا قبل الاوان .

« ان الشريعة الاسلامية التي منحتنا الحرية في كثير من الشؤون توجب على الرجل ان ينظر الى المرأة بعين العفة والاستقامة والاحترام ولكن الرجال يخالفون الشريعة في الغالب ويتجاوزون حدود الادب في الردهات والفنادق والقهوات التي يقتلون فيها الوقت فتراهم يجالسون نساء في اشد الانحطاط حتى اننا نستحي من ذكرهن . »

« ولذا كله نحن الموقعات على هذه العريضة نصرح بعد الدرس والتفكير وبناء على ما نعرفه من الشريعة الغراء انه يحق لنا كما يحق للرجال ان نكون من جملة بني البشر

» فيا ايها النواب المسلمون في الدوما ان شريعة الله توجب عليكم ان تطالبوا بحقوق المرأة والواجب يقضي بأن تضعوا قانوناً يحميها من كل رجل ظالم وحشي الذي يسيء معاملتها ويضرب عليها الغداب . فنحن والدات الشعب وصديقات الرجال . وتربية الامة ونجاحها منوطان بنا . فليعلم الرجال المسلمون هذا : انهم اذا استمروا على سوء معاملتنا سقطوا هم في اقرب الاوقات الى خفيض الاستعباد وجر الخراب التام اذياله على جميع شعوبهم » هذا ما تطلبه نساء المسلمين في بلاد الروس من نوابهن حتى ينادوا معلنين بان ما يأتية الرجال من الاعمال المغايرة للدين والادب يجب ان يتجنبوه حتى ترتقي شؤون المرأة التي هي مديرة دفة النظام العائلي . ولكن بينما نراها في البلاد القاصية تطلب حقوقها بشدة نجدها في بلادنا لا تحرك ساكناً بل مرتكنة على من يقوم مطالباً بترقية شؤونها . فيا بنات مصر ناشدكن بالاخاء ان ترفعن عقيدتكن ومطالبات بحقوقكن لانكن ان لم ترفعن شؤونكن بانفسكن فلا تنتظرن من يأخذ بناصركن ويعمل على رفع مقامكن . نسأل الله ان يوفقكن الى ما فيه صالحكن .

المرأة المصرية يدافع عن حقوقها مصري ويشرح حالها في بلاد الانجليز

ولقد دعي حضرة الفاضل عطيه افندي وهي وهو في اوروبا لالقاء خطبة في الاجتماع الذي عقده جمعية المطالبة بحقوق المرأة في ٣ سبتمبر

« اما في الوقت الحاضر فالمرأة المصرية محرومة من كل حقوقها فهي طريدة الاجتماعات سجيّة في البيت لها عينان لا تبصران وفؤاد يئن ولكن لا يسمع له نداء وقد حرمت من التربية الصحيحة فلا قبل لها على تهذيب اولادها وتأديّة وظيفتها في منزلها وانما هي اصبحت مجرد آلة يستعملها ذلك الرجل القاسي في قضاء ما يريد ومما يحزن ويبيك ان السنين تمر تلو السنين فلا هي تطالب بحقوقها ولا هو يشفق عليها ويهتم باصلاح حالها.

« واذا ذكر مع الاسف ان المرحوم قاسم بك امين قام من عهد ليس ببعيد وطلب كشف النقاب عن ذلك المحيا الجميل وتهذيب شريكة الحياة المصرية فقامت عليه قيامة الجهلاء ورموه بكل انواع الكثر والبهتان (استغراب)

« أليس من الغريب ان تهمل تربية المرأة ويطلب رجال معتر بحق النيابة عن الامة فقد قام الاقباط في هذه الايام يطالبون بالمساواة في وظائف حكومة البلاد ويقام غيرهم من المصريين يطالبون بمجلس نواب اسوة بالبلاد المتقدمة

« ولا شك أن هذه المطالب عنوان التقدم والارتقاء والتمتع بحياة راضية واطمئنان لم يره اهالي البلاد قبل الان. واني مع احترامى لتلك المطالب والاميال لا انسى ان اتول ان تربية المرأة المصرية وتحريرها اولى بهذا الاهتمام

« انا في حاجة الى مقام جميل تشرق فيه شمس المرأة المهيبة فلا يسخ

لنا ان نهمل هذا الامر ونسعى الى غيره فعلينا ان نبدأ بتمزيق ذلك الحجاب (استحسان) ونعلم المرأة ونفسح لها مجالاً في اجتماعاتنا وفي اعتقادي ان هذه الطريقة الوحيدة لإصلاح حالنا وترقية شؤوننا - انا لو عملنا ذلك لا يمكننا ان نهمل المستقبل رجلاً أكفاء لادارة البلاد للقيام باعباء مجلس النواب حق القيام (تصفيق)

« ومما يلاحظ في هذا المقام ان الاقباط مع علمهم بمبادئ الديانة المسيحية وتعاليمها لم يخطوا خطوة الى الامام في هذا السبيل وقد صدق عليهم قول الاورد كرومر: « ان الديانة المسيحية عند الاقباط بقيت محافظة على القديم وان القبطي بقي كذلك وانفلاً لا يتحرك الى الامام » على ان الحركة التي بدت من الاقباط في السنين الاخيرة تبشر بالنجاح وتدعو الى الامل في مستقبل الايام

« وفصاري القول اني ممن يعتقدون ان لا أمل في الارتقاء الحقيقي لمصر المحبوبة بلا تربية المرأة وتحريرها فهذه هي الأمنية التي يجب ان تتجه الى تحقيقها اميال كل المصريين من مسلمين واقباط على حد سواء فعسى ان يعود كوكب المرأة المصرية القديمة فيتألق في سماء مصر في مستقبل الايام. (تصفيق واستحسان كثيران). انتهى. هذا ما قاله حضرة الخطيب عن المرأة المصرية في بلاد الانجليز.

المرأة وترقيتها

ومما قاله حضرة الاصولي الفاضل اخنوخ افندي فانوس في قصيدته العصرية:

فليس امة رقت مراقينا الا بأمامات لها رواقينا